



بِقَلْمِ الشَّيْخِ عَلَى الطَّنطَاوِي

مقدمة للمقالة بقلم سبط الشيخ، مجاهد ديرانية: نشر جدي - رحمه الله. هذه المقالة سنة 1954 في ظروف تشبه الظروف التي نعيشها اليوم، إلا أن الأسماء تغيرت؛ كان "إمام" الأزهر عبد الرحمن تاج فصار أحمد الطيب، وكان "إمام" العسكر جمال عبد الناصر فصار عبد الفتاح السيسى، وما زالت الحرب على الإسلام والإخوان هي هي، إلا أن الإخوان كانوا وحدهم في الميدان في ذلك الزمن البعيد فصاروا اليوم قطرة في بحر جمهور أبي حُرَّة عظيم لا يرضى بديلاً بالحرية والإسلام... ولن يكون اليوم كالأمس إن شاء الله.

توضيح: تولى "الشيخ" عبد الرحمن تاج مشيخة الأزهر بقرار من طاغية مصر البائد، جمال عبد الناصر، في بداية سنة 1954، وهو نموذج للعالم الذي يبيع دينه بدنيا غيره؛ كان سيفاً في يد جمال عبد الناصر في حربه الهمجية ضد الإخوان، فأصدر في "أعقاب تمثيلية" حادثة المنشية المشهورة بياناً شرساً هاجم فيه الإخوان وحرض عليهم باعتبارهم "جماعة تعمل على تشويه الدين" واصفاً إياهم بأنهم "خوارج لا تُقبل منهم توبة ولا شفاعة"! فرداً عليه جدي بهذه المقالة.

كتب الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله:
إن مات شيخ الأزهر الشيخ عبد الرحمن تاج وليس أول شيخ يموت، ولقد مضى من قبله أئمة فُحولٌ كانوا مصابيح الهدى

وكانوا بحار العلم، وكانوا في ثباتهم على الحق جباراً لا تزول حتى تزول عن مطارحها الجبال... ولكن أول شيخ للأزهر يموت ونفسه "حية" تسعن!

إن من قبله مات ودفن، وهذا عاش ولعن، فما مات في جسده الفاني، ولكن مات قلبه ومات ضميره ومات إيمانه، وباع الآجلة بالعاجلة، وآخر الدنيا على الآخرة، وفضل رضا جمال عبد الناصر على رضا الرب الناصر لأوليائه، القاهر فوق أعدائه، الجبار الذي لا يشاركه كبراءه أحد إلا قصمه...

فحكم - جازاه الله - بتکفير صفة المؤمنين في هذا العصر، الإخوان المسلمين، الشباب الذين نشأوا في طاعة الله، وبشرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأنهم ممن يظلمهم عرش الله يوم لا ظل إلا ظله.

شباب عرفوا الإسلام وتمسكوا به، أموا المساجد على حين يؤمن أتراهم الملاهي والمراقص، وصفوا أقدامهم في هدأت الليل على حين يسهر أولئك في الخزي والعار، وناجوا ربهم في خلوات الأسحار على حين ينام أولئك نوم العجمادات، وحملوا - في سبيل الله - من ظلم الظالمين ما تنطحن تحته الرواسي، فما لانوا ولا استكانوا، ولا كفروا بالله مذ آمنوا به، ولا ضاقوا بمحن الأيام منذ استغبوا لذائذ الطاعات.

وجاء في بيانه (الذي أذاعتته محطة مصر) بالأيات محرفات عن مواضعها، والأحاديث مسوقة غير مساقها، ليوهم عامة المصريين أنه يدافع عن الدين ويتكلم بلسان العلم، فلم يسعني والله السكوت وأنا أعلم أن الساكت عن الحق شيطان آخر، وأن على المسلم أن يقول الحق ولو على نفسه أو صديقه أو زميله، وخفت إن سكتنا جميعاً ولم نردد على هذا الدعي المفترى أن يعمّنا الله بعذاب من عنده.

ولا أدرى من هو الذي خدع شيخ الأزهر والنفر من علماء السوء الذين شاركوه خزيه، فأخبرهم أن في الإسلام "إكليلوس"، وأن شيخ الأزهر كالبابا في القرون الوسطى، يدخل الجنة ويحرم منها وبيبعها قراريط وأمتاراً، ولم يعلم أن الإسلام ليس فيه رجال دين، وأن كل مسلم هو رجل الدين، وأن امرأة عجوزاً ردت على عمر... وما نافق عمر ولا زور، ولكن اجتهد فأخطأ. فلماذا لا أرد على شيخ الأزهر، وهو لا يقاد بعمر ولا يدانيه ولا يوزن بشراك نعله، وهو قد غير وبدل وكذب ونافق، وألزم نفسه قاعدة "من كفر مسلماً فقد كفر"، فكيف بمن يكفر الملايين من صفة المسلمين؟

ولو فرضنا (وهو فرض لا يلزم ولا يثبت حقاً) أن الاشتراك في السعي لقلب الحكم في مصر كفر، فكيف حكم بالتكفير قبل صدور الحكم من هذه المحكمة العجيبة، وكيف عمّمه على الإخوان المسلمين جميعاً في آفاق الأرض وهم ملايين وملايين، من كل شاب رجله خيرٌ من رأس الشيخ المنافق، وقفاه أفضل من وجهه، وساعته منه في طاعته وعبادته خير من عمر في النفاق؟!

وأين شيخ الأزهر؟ وما له خرس عن إنكار المنكرات في مصر: عن الفجور المعطن، عن الفسق البادي، عن الخمور والشروع، عمّا أحدثه هؤلاء الحاكمون من ألوان المعاشي، من إبعاد الصالحين وإدنه الراقصات والراقصين؟ ما له لم يجد - هو وصحابه هيئة كبار العلماء - ما يثير غضبهم إلا أن يكون في الدنيا هؤلاء الملايين من الشباب المؤمنين الصالحين المصلحين؟

* * *

أنا أعرف مصر من خمس وعشرين سنة، وأعرفها الآن، وأشهد أن ليس فيها من خير جدًّا إلا كان مصدره دعوة الإخوان.

وهل كان فيها من قبل شباب يملؤون المساجد، وطلاب يقumen الليل ويتعلون القرآن، ويترافقون على الطاعات تزاحم غيرهم على الراقصات والسينمات؟

وما أنا من الإخوان في قيود السجلات، ولكنني منهم في العقيدة والدين.

وقد عوّذني الله أن لا أقول إلا الحق، وأن أجهر به إن خرس عنه ضياع الإيمان أو صرخ علماء السوء بغيره، كهؤلاء الذين كتبوا هذا البيان. هؤلاء الذين اغتروا حين سماهم الحاكمون "هيئة كبار العلماء"، وعطاهم إبليس في مناخرهم وزين لهم الجاه والممنصب، فبدلوا في سبيله كل شيء، حتى الدين، فجعلوا علمهم مطية يصلون به إلى قلب كل حاكم.

قرروا بالأمس أن فاروق من أشرف المسلمين وأنه من نسل الرسول صلوات الله عليه، ذلك لما كان فاروق هو الملك الذي يعطي المناصب والرتب، فلما زال لم يستحوا أن يجعلوه شيطاناً مريداً، بعد أن جعلوه الملك الصالح المصلح والشريف الحسيب النسيب!

وهم اليوم يقررون كفر الإخوان (أستغفر الله من رواية هذا الهذر)، ولئن عاد الإخوان غداً وصار لهم الأمر عادوا يتزلجون إليهم ويجعلونهم الهدىين المهدىين، وسترون.

شِنْشِنة عرفناها من أَخْزَمَ وَخُلُقَ في الصَّفَارِ لِفَنَاهُ وَعَرَفَنَاهُ.

أما الإخوان فقد أثبتت الأيام أنهم صفوة المسلمين في هذا العصر، وأنهم كالذهب المصفى لا تزيده النار إلا صفاء.
فيما إليها الإخوان:

اصبروا واثبتو، فإنه إن كانشيخ الأزهر عليكم فإن الأمة الإسلامية كلها معكم، والله معكم، ومن كان مع الله فلا يبال أحداً.
اصبروا آل عمار، موعدكم الجنة!

* * *

وبعد، فهذه تعزية بشيخ الأزهر وهيئة كبار العلماء.

لقد ماتوا، فلا تذكروا بعد اليومشيخ الأزهر ولا هيئة كبار العلماء! ولو أنهم ماتوا ودُفنتوا لكان خيراً لهم، ولكن ماتت ضمائركم وماتت قلوبهم، فنطقـت ألسنتهم بهذا البيان الذي رضي عنه عبد الناصر وصحابـه، وغضـبـ عليهم من أجله الناس جميعـاً والملاـئكة، وغضـبـ عليهم الله المنتقم الجبارـ.

إلى الله المشتكـى، ولا حول ولا قـوة إلا بالله.

الزلزال السوري

المصادر: